«ذكر معنى النفاق وأنواعه»

تعريف النفاق:

اختلف علماء اللغة في أصل النفاق، فقيل: إن ذلك نسبة إلى النفق وهو السرب في الأرض، لأن المنافق يستر كفره ويغيبه، فتشبه بالذي يدخل النفق يستتر فيه.

وقيل: سمي به من نافقاء اليربوع، فإن اليربوع له جحر يقال له: النافقاء، وآخر يقال له: القاصعاء، فإذا طلب من القاصعاء قصع فخرج من النافقاء، كذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه، وقيل: نسبة إلى نافقاء اليربوع أيضًا، لكن من وجه آخر وهو إظهاره غير ما يضمر ذلك: أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج، فإذا رابه ريب دفع ذلك برأسه، فخرج، فظاهر جحره تراب كالأرض، وباطنه حفر، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر[1].

(١) انظر: لسان العرب ١٠/ ٣٥٨، ٣٥٩، المفردات للراغب ٥٠٢.

obeikandl.com

ولعل النسبة إلى نافقاء اليربوع أرجح من النسبة إلى النفق، (لأن النفق ليس فيه إظهار شيء، وإبطان شيء آخر، كما هو الحال في النفاق، وكونه مأخوذًا من النافقاء باعتبار أن المنافق يظهر خلاف ما يبطن أقرب من كونه مأخوذًا منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه، لأن الذي يتحقق فيه الشبه الكامل بين النافقاء والنفاق هو إظهار شيء وإخفاء شيء آخر، إضافة إلى أن المنافق لم يدخل في الإسلام دخولًا حقيقيًّا حتى يخرج منه)[1].

أما النفاق في الاصطلاح الشرعي، فهو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد[2]، أو هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وإن كان أصله في اللغة معروفًا كما سبق[3].

ويقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (النفاق الأكبر وهو: أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه)[4].

وأساس النفاق الذي بني عليه: أن المنافق لا بد أن تختلف سريرته وعلانيته، وظاهره وباطنه، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب،

(١) المنافقون في القرآن الكريم د. عبدالعزيز الحميدي ص١٣.
(٢) انظر: عارضة الأحوذي ١٠/ ٩٧.
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٩٨ ولسان العرب ١٠/ ٣٥٩.
(٤) جامع العلوم والحكم ص ٤٣٠، ط. دار المعرفة.

كما يصف المؤمنين بالصدق، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، وأمثال هذا كثير(١).

إذًا: أخص وأهم ما يميز به المنافقين الاختلاف بين الظاهر والباطن، وبين الدعوى والحقيقة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، قال الإمام الطبري رحمه الله: (أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآيات نزلت في قوم من أهل النفاق، وأن هذه الصفة صفتهم)(٢).

وقد يطلق بعض الفقهاء لفظ الزنديق على المنافق، قال شيخ الإسلام رحمه الله: (ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ (الزنديق) وشاعت في لسان الفقهاء، وتكلم الناس في الزنديق: هل تقبل توبته؟ والمقصود هنا أن (الزنديق) في عرف هؤلاء الفقهاء، هو المنافق الذي كان في عهد النبي ﷺ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أأبطن دينًا من الأديان: كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطلًا جاحدًا للصانع والمعاد والأعمال الصالحة...)(٣).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٦٢٠.
(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٦٨.
(٣) الإيمان الأوسط ص١٣.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم: (الطبقة الخامسة عشرة): طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسوله، هؤلاء هم المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار[1].

أنواع النفاق

ينقسم النفاق من حيث الحكم على المتلبس به إلى نوعين:

- **النفاق الأكبر**: ويسمى بالنفاق الاعتقادي.
- **النفاق الأصغر**: ويسمى بالنفاق العملي.

النوع الأول: النفاق الأكبر (النفاق الاعتقادي)

وصاحبه مخلد في الدرك الأسفل من النار، لخروجه من الملة بإبطانه الكفر وإظهاره الإسلام.

ويمكن اختصار تعريفه بما ذكره الحافظ ابن رجب، حيث قال رحمه الله: (النفاق الأكبر هو: أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك

(١) طريق الهجرتين ص٥٩٥.

الأسفل من النار)[1]، ومن الآيات في تكفيرهم ومصيرهم في الآخرة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقوله ﷻ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة: ٦٨]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ [التوبة: ٧٣ - ٧٤]، وقوله عن طائفة من المنافقين: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَد كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فهذه الآيات تبين لنا أن المنافقين من أسوأ أنواع الكفار، ومصيرهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، لأنهم زادوا على كفرهم، الكذب والمراوغة والخداع للمؤمنين، ولذلك فصل القرآن الحديث حولهم وحول صفاتهم؛ لكي لا يقع المؤمنون في حبائلهم وخداعهم.

ذكر بعض الصور للنفاق الأكبر:

أولًا: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعض هذه الصور، (فقال: فمن النفاق ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل

(١) جامع العلوم والحكم ص ٤٣١. وانظر مقال: (النفاق حقيقة أنواعه وصوره) للدكتور محمد الوهيبي مجلة البيان.

مـن النار، كنفاق عبد الله بـن أبيّ وغيره، بأن يظهر تكذيب الرسـول أو جحـود بعض ما جاء به أو بغضـه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المسـاءة بظهـور دينه، ونحو ذلك: مما لا يكون صاحبه إلا عدوًّا لله ورسوله، وهذا القدر كان موجودًا في زمن رسول الله ﷺ وما زال بعده، بل هو بعده أكثر منه على عهده [1].

ونقـل هـذه الأنـواع الشـيخ محمد بـن عبدالوهـاب رحمه الله فقال: (... فأمـا النفـاق الاعتقـادي فهو سـتة أنـواع: تكذيب الرسـول، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسـول، أو بغض الرسـول أو بغض ما جاء به الرسـول، أو المسرة بانخفاض دين الرسـول، أو الكراهية بانتصار دين الرسـول، فهذه الأنواع السـتة صاحبها من أهل الدرك الأسـفل من النار) [2].

ويعلـق الدكتـور محمـد الوهيبـي عـلى هذيـن النقلـين، فيقول: (فيتحصـل ممـا ذكـره هذان الإمامـان بعد دمـج الأنواع المتشـابهة أو المتقاربة خمس صفات أو أنواع هي:

١- تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به.

٢- بغض الرسول ﷺ أو بغض ما جاء به.

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٣٤.
(٢) مجموعة التوحيد ص٧.

٣- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ.

٤- عدم اعتقاد وجوب تصديقه فيما أخبر.

٥- عدم اعتقاد وجوب طاعته فيما أمر.

وبالنظر إلى الآيات التي ذكرت أحوال المنافقين، وكلام المفسرين حولها، يمكن أن يضاف إلى هذه الصفات صفات أخرى، وهي:

٦- أذى الرسول ﷺ أو عيبه ولمزه.

٧- مظاهرة الكافرين ومناصرتهم على المؤمنين.

٨- الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين لأجل إيمانهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ.

٩- التولي والإعراض عن حكم الله وحكم رسوله ﷺ.

فالوقوع في أي صفة من هذه الصفات يخرج من الملة) [1].

وسيأتي شرح بعض هذه الصفات في مبحث صفات المنافقين إن شاء الله تعالى.

وما أكثر ما نلاحظ بعض هذه الصفات في منافقي زماننا اليوم من الرافضة وبعض الساسة والإعلاميين، ممن يسمون

(١) عن مقال (النفاق حقيقته - أنواعه) مجلة البيان، العدد ٨٢.

obeikandl.com

أنفسهم بالليبراليين والعلمانيين، حيث الإعراض والتولي عن حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ، ومظاهرة الكافرين على المؤمنين، والمسرة بهزيمة الإسلام وأهله، والكراهة لانتصار دين الرسول ﷺ وحزبه الموحدين.

ويبين شيخ الإسلام رحمه الله هذا النفاق عند الرافضة الباطنية، ويصور حالهم أحسن تصوير، فيقول: (... فالرافضة يوالون من حارب أهل السنة والجماعة، ويوالون التتار، ويوالون النصارى، وقد كان بالساحل بين الرافضة وبين الفرنج مهادنة، حتى صارت الرافضة تحمل إلى قبرص خيل المسلمين وسلاحهم، وغلمان السلطان، وغيرهم من الجند والصبيان، وإذا انتصر المسلمون على التتار أقاموا المآتم والحزن، وإذا انتصر التتار على المسلمين أقاموا الفرح والسرور، وهم الذين أشاروا على التتار بقتل الخليفة، وقتل أهل بغداد، ووزير بغداد ابن العلقمي الرافضي هو الذي خامر على المسلمين، وكاتب التتار، حتى أدخلهم أرض العراق بالمكر والخديعة، ونهي الناس عن قتالهم، وقد عرف العارفون بالإسلام: أن الرافضة تميل مع أعداء الدين...)[1].

ويتحدث في موطن آخر عن نفاق وزندقة رؤوس الجهمية والرافضة، فيقول: (فإن هاتين الفرقتين هما أعظم الفرق فسادًا في

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٦٣٦، وانظر ٢٨/ ٤٣٥.

الديـن، وأصلهـما من الزنادقـة المنافقين، ليسـتا من ابتـداع المتأولين، مثـل قول الخوارج والمرجئـة والقدرية، فإن هـذه الآراء ابتدعها قوم مسـلمون بجهلهـم، قصـدوا بها طاعـة الله، فوقعـوا في معصيته، ولم يقصدوا بها مخالفة الرسول ولا محادته.

بخلاف الرفض والتجهم، فإن مبدأهما من قوم منافقين مكذبين لمـا جاء به الرسـول مبغضين له، لكن التبس أمـر كثير منهم على كثير من المسـلمين، الذين ليسـوا بمنافقـين ولا زنادقة، فدخلوا في أشـياء مـن الأقـوال والأفعال التـي ابتدعهـا الزنادقـة والمنافقون، ولبسـوا الحق بالباطل، وفي المسـلمين سـماعون للمنافقين، كـما قال الله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧])[1].

وعـن هذه الصورة من النفاق عند منافقـي زماننا يقول الدكتور عبدالعزيز كامل حفظه الله تعالى:

(لا نسـتطيع أن نرجع ذلك السـلوك المعادي للديـن وأهله عند مؤسسـات النفاق المعـاصر وكياناته وأدواته المعـبرة عنه في الصحافة والإعـلام والفكـر العلمانيين إلا لسـبب واحد هـو: (كراهية ما أنزل الله)؛ ذلـك السـبب الـذي تتفـرع عنه أسـباب أخرى كالاسـتكبار، وتقديم الهوى، وإيثار الدنيا، وسوء الظن، وفساد الطوية؛ فكراهية ما

(١) انظر: الصواعق المرسلة ٤/ ١٤٠٣.

أنزل الله خلق دائم للكافرين، وتبعهم فيه المنافقون بدرجات تتفاوت بحسب دركات النفاق عندهم.

فعندما تمرض القلوب بالشهوات أو الشبهات أو بهما معًا، تفسد تلك القلوب، وينتج عن فسادها انحراف في الفطرة، وانكفاف في البصيرة، فيصبح المرء محبًّا لما أبغض الله، ومبغضًا لما أحب الله، وقد يبلغ هذا البغض والكره حدًّا من الغلو يصل بالمرء إلى أن يكره كل داع إلى الله وكل دعوة إلى سبيل الله؛ بل يكره أن يذكر أمامه شيء يذكره بالله ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥]، فلا عجب ممن هذه أحوالهم أن نرى البغضاء قد طفحت من قلوبهم على ألسنتهم، لتعبر عن مدى كراهيتهم لدين الله وشرعه والمتمسكين به والمنافحين عنه والمضحين في سبيله، ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨]، يكفيك أن تطالع الأعمدة اليومية والأسبوعية لكثير من أعمدة النفاق، لترى مصداق ذلك من أقوام جل همهم فيما يتقيئون على أوراق الصحف والمجلات أن يحزن الذين آمنوا وألا ينقلب المؤمنون بأهليهم إلى سلامة أبدًا، وألا يمكن الله لهم دينهم الذي ارتضى لهم أو يبدلهم من بعد خوفهم أمنًا... صحيح أن كراهية ما أنزل الله عمل قلبي، ولكن آثاره تنعكس على المواقف في صور شتى، مثل تلك السياسات الثابتة في الصد عن سبيل

الله، ومحاربة أولياء الله، والطعن في شريعة الله، أو السماح بذلك عن طريق إفساح المجال لكل مستهزئ بشعائر الله، متهكم على حدود الله، ساع في أذى المؤمنين بأنواع الأذى؛ إنها صور شتى تعكس آثار الكراهية الواضحة لما أنزل الله ﷻ)[1].

ثانيًا: النفاق السياسي

إن مما يلحق بالنفاق الأكبر ما يسمى اليوم في عالم السياسة (بالنفاق السياسي) أو النفاق الدولي، وهذا النوع من النفاق يصدر من فئتين من الدول:

الفئة الأولى: دول الكفر والطغيان، وعلى رأسها أمريكا ودول الغرب الذين زادوا على كفرهم بالله تعالى ورسوله ﷺ.

انغماسهم في حمأة النفاق والدجل والخداع والمواقف المتناقضة حتى افتضحوا - والحمد لله - بين الناس، وتعرى نفاقهم للمسلمين، وعرف القاصي والداني أن الباعث لهم في مواقفهم كرههم للإسلام، ومصالحهم التي يستميتون في تحقيقها، ولو على حساب احتلال البلدان وتدميرها وسفك دماء أهلها، ثم تدعي في الوقت نفسه أنها تحارب الإرهاب، وتسعى لنشر الحرية والسلام والأمن في هذه الدول

(١) عن مقال (رايات النفاق والحرب المعلنة على الإسلام)، مجلة البيان، العدد (١٧٣) (باختصار).

المعتدي عليها!! فأي نفاق ودجل أكبر من هذا النفاق والدجل. يقول الدكتور عبد العزيز كامل حفظه الله تعالى:

(والجدل الدائر حول التساؤل عن طبيعة الحرب الأمريكية، وهل هي ضد الإرهاب أم ضد الإسلام؛ إنما هو في حقيقته مجرد جدل (بيزنطي)، سبق أن أثير مرات عديدة كلما حورب الإسلام وأهله، تحت أي ذريعة من الذرائع. وإلا فأين هي أمريكا وحلفاؤها من محاربة الإرهاب اليهودي في فلسطين، ومحاربة الإرهاب الهندوسي في كشمير، والإرهاب الروسي في الشيشان، والإرهاب النصراني في الفلبين وإندونيسيا وغيرها من بلدان المسلمين ؟!ثم .... أين هو الإرهاب عند الجماعات التي عدتها أمريكا إرهابية، وهي تدافع دفاعًا مشروعًا عن حقوقها الإنسانية والدينية في فلسطين ولبنان وكشمير والشيشان والفلبين؟ إن حرب أمريكا المعلنة على الإسلام قد شملت كل طائفة مسلمة مضطهدة، تنافح عن دينها وأرضها وعرضها في مشارق الأرض ومغاربها، وشملت كل مظهر من مظاهر التمسك بما تبقى من عُرى الإسلام في الحكم والتحاكم، والشعائر والشرائع، والإعلام والتعليم، فهي حرب (المواجهة الشاملة)[1]

(١) عن مقال (رايات النفاق والحرب المعلنة على الإسلام) مجلة البيان. العدد (١٧٣).

والحقيقة التي يشهد لها التاريخ أن السياسة الأمريكية لا تعترف بمبدأ ولا تشريع كما تدعيه وتروجه، وليس ثمة إلا مصلحة أمريكا، بل مصلحة أصحاب الأموال فيها، لا سلام ولا عدالة ولا حقوق إنسان ولا عهود دولية. إنها مجرد واجهات تحتكرها الآلة السياسية الأمريكية وتركبها للتمكين للديانة الجديدة، فالسياسات المعلنة شيء وما تخفيه وتخطط له شيء آخر، ويمكن تسميتها بسياسة ذي وجهين التي نفيها إثبات وإثباتها نفي. وهي سياسة الكيل بمكالين التي تظهر ما لا تبطن.

الفئة الثانية: كثير من الدول التي تنتسب إلى الإسلام وتنافق مع شعوبها المسلمة، وتظهر لهم حبها للإسلام ومقدساته، وتخادعهم بإظهار العناية بالمواسم الإسلامية: كالاحتفال بعيد المولد وليلة النصف من شعبان والهجرة والإسراء والمعراج، وتظهر عداءها لليهود أو الغرب والشرق، وهم في الباطن عملاء للشرق أو الغرب، قد والوهم من دون المسلمين، ونبذوا شريعة الله ﷻ وراءهم ظهريًّا، وحكموا في أديان الناس وأنفسهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم بحكم الطاغوت والقانون، الذي يستحلون فيه ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله ﷻ، ولقد انخدع بهم كثير من الناس، ردحًا من الزمن، ولكن ها هم اليوم يتعرون ويفتضحون، وتظهر خباياهم وفساد طوياتهم ونفاقهم للناس بعد هذه النوازل والابتلاءات التي تمر بها أمة الإسلام.

ونفاق الحاكم لرعيته ينعكس في العادة على نفاق المحكوم لحاكمه، فكما تدين تدان.

وعلى سبيل المثال لهذه الدول لا الحصر: دول الرفض الباطنية كدول إيران المجوسية، وسوريا النصيرية القرمطية، فلقد قدر الله ﷻ الأحداث الأخيرة في سوريا والعراق، ليفضحهم ويبين نفاقهم وكذبهم للناس، الذين كانوا مخدوعين بهم وبما يظهرونه من دفاعهم عن الإسلام، وزعمهم أن عداءهم وحربهم على اليهود والأمريكان، وتسميتهم أنفسهم بدول الممانعة، وأبى الله ﷻ إلا أن يفضحهم، ويخرج نفاقهم، وفي ذلك خير عظيم ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩].

مسألة:

في الفرق بين تقية الروافض الباطنية وبين التقية الشرعية، التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

ذلك أن تقية الروافض الباطنية هي النفاق الاعتقادي، حيث يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام تقية حال تمكن أهل السنة.

أما التقية المأذون بها شرعًا، فهي إبطان الإيمان وإظهار الكفر تحت الإكراه، كما في قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾[النحل: ١٠٦].

ثالثًا: النفاق الوطني

وهذا النوع من النفاق ينتشر بين شريحة كبيرة من الليبراليين والنفعيين أصحاب الشهوات والأهواء، الذين يتشدقون بحب الوطن ومصالح الوطن، وهم في الحقيقة أعداؤه بما يسعون به من إفساد دين الوطن ونشر الفساد وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين، وإفساد أعراضهم وأمن نفوسهم وعقولهم وأموالهم، قال الله ﷻ في وصفهم: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٢٧]، وقال أيضًا عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[البقرة: ٢٢١]، ووصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾[البقرة: ١١ - ١٢]، وسيأتي التوسع في شرح هذه الصفات في فصل قادم إن شاء الله.

النوع الثاني: النفاق الأصغر (النفاق العملي)

قال ابن رجب رحمه الله: (النفـاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك)[1].

وقـد نبه النبي ﷺ على هـذا النوع في أحاديث كثـيرة، كقوله ﷺ: «**آيـة المنافق ثـلاث: إذا حدث كـذب، وإذا وعد أخلـف، وإذا ائتمن خان**»[2].

وقولـه: «**أربـع من كـن فيه كان منافقًـا خالصًا، ومـن كانت فيه خصلة منهن، كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[3].

فهـذه خصال نفاق، وصاحبها شـبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ولكنه ليس على كفرهم اعتقادًا وباطنًا.

وقـد يجتمـع نفاق العمل مـع أصل الإيمان، ولكن إذا اسـتحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية[4].

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٤٣١.
(٢) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٢/ ٤٦) شرح النووي.
(٣) البخاري (٣٤)، مسلم (٢/ ٤٦) شرح النووي.
(٤) كتاب الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص ٥٩.

obeikandl.com

قال الإمام الذهبي عقب حديث «**أربع من كن فيه**»: (وفيه دليل على أن النفاق يتبعض ويتشعب، كما أن الإيمان ذو شعب ويزيد وينقص، فشعب النفاق كلها من الكذب والخيانة والجور والغدر والرياء وطلب العلم ليقال، وحب الرئاسة والمشيخة، وموادة الفجار والنصارى، فمن ارتكبها كلها وكان في قلبه غل للنبي ﷺ أو حرج من قضاياه، أو يصوم غير محتسب أو يجوّز أن دين النصارى أو اليهود دين مليح ويميل إليهم، فهذا لا ريب في أنه كامل النفاق، وأنه في الدرك الأسفل من النار، فإن كان فيه شعبة من نفاق الأعمال فله قسط من المقت حتى يدعها ويتوب منها)[1].

يشرح الإمام النووي رحمه الله حديث: «**أربع من كن فيه..**» فيقول: (هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلًا من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقًا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر، ولا هو منافق يخلد في النار، فإن أخوة يوسف عليه السلام جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٦٢ باختصار.

الصحيح المختار، أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر. ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار، وقوله ﷺ: «**كان منافقًا خالصًا**» معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال، قال بعض العلماء هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلًا فيه، فهذا هو المختار في معنى الحديث...)[1].

وقال الإمام الخطابي رحمه الله: (هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال، فتفضي به إلى النفاق، لا أن من بدرت منه هذه الخصال، أو فعل شيئًا من ذلك من غير اعتياد أنه منافق[2].

وقال أي الخطابي: (ويدل عليه التعبير بإذا، فإنها تدل على تكرار الفعل)[3]، وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال: (والأولى ما قاله الكرماني:

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٤٦.
(٢) شرح السنة ١/ ٧٦.
(٣) فتح الباري ١/ ٩٠.

إن حـذف المفعـول من (حـدّث) يدل على العمـوم، أي إذا حدث في كل شيء كـذب فيـه، أو يصـير قاصـدًا، أي إذا وجد مـا هية الحديث كـذب، وقيل محمـول على من غلبـت عليه هذه الخصـال وتهاون بها واسـتخف بأمرها، فإن من كان كذلك كان فاسد الاعتقاد غالبًا)[1]، وقـال الحافظ ابن رجب رحمه الله بعدما شرح هـذه الخصال: (وحاصل الأمـر أن النفـاق الأصغر كله يرجع إلى اختـلاف السريرة والعلانية، كما قال الحسن...) [2].

وهذا هو النفاق الذي خافه الصحابة رضي الله عنهم على أنفسهم.

يقـول ابن رجب رحمه الله: (ولمـا تقرر عند الصحابـة رضي الله عنهم أن النفاق هـو اختلاف الـسر والعلانية خشي بعضهـم على نفسـه أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر، برجوعه إلى الدنيا والاشـتغال بالأهل والأولاد والأموال أن يكون ذلك منه نفاقًا، كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأسدي أنه قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيـف أنـت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسـول الله ﷺ، يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين، فإذا رجعنا، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعـات فنسـينا كثـيرًا، قـال أبو بكـر: فالله إنـا لكذلك، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: (ما لك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة

(١) فتح الباري ١/ ٩١.
(٢) جامع العلوم والحكم ٤٣٣.

يا رسول الله. وذكر له مثل ما قال لأبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «**لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي، لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**» (١)) (٢).

ومما ورد في خوف الصحابة من النفاق ما قاله ابن أبي مليكة: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل) (٣).

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في تعليقه على هذا الأثر: (والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة وعقبة بن الحارث والمسور بن مخرمة، فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء: كعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل من غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشعر به مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رضي الله عنهم) (٤).

---

(١) مسلم (٢٧٥٠).
(٢) جامع العلوم والحكم ص٤٣٤.
(٣) رواه البخاري معلقًا (فتح الباري ١/ ١٠٩).
(٤) فتح الباري ١/ ١١١.

وخلاصة القول في النفاق العملي أنه نوع من الاختلاف بين السريرة والعلانية مما هو دون الكفر، وذلك كالرياء الذي لا يكون في أصل العمل، وكالخصال الواردة في شعب النفاق، وينبغي أن لا ننسى أن النفاق العملي إذا استحكم في الإنسان وصار غالبًا عليه قد يؤدي به إلى النفاق القلبي الاعتقادي عياذًا بالله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧].

صور أخرى من صور النفاق العملي:

أولًا: ما يعرف اليوم بالنفاق الاجتماعي: وقد سرى هذا النوع من النفاق في كثير من أبناء الأمة على مختلف شرائحها. وهو مصداق ما جاء على لسان الرسول ﷺ في قوله: (تجدون شر الناس ذي الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)[1]. وهذا النوع من النفاق له صور منها:

١- النفاق الاجتماعي الذي يكون في شرائح المجتمع بعضهم مع بعض: وهو ما يقوم به بعض الناس من التلون في كلامه وأفعاله ومعاملاته، حيث يظهر الحب والود وحرصه على مصلحة الناس، وهو في الباطن ضد ذلك، بما يحمله في قلبه من الحسد

(١) البخاري (٣٤٩٤)، مسلم (٢٥٢٦).

obeikandl.com

والحقد وحب الشر للناس، أو يظهر الغم والحزن على مصاب أخيه المسلم، وهو في الباطن فرح شامت، أو يظهر الثناء والمدح في وجه من يداهنه، فإذا غاب عنه ذمه وذكر مثالبه، وكانتشار الكذب وإخلاف الوعد والخيانة ونقض العقود والعهود والفجور في الخصومات بين الناس.

مسألة:

هل مجاملة الناس من النفاق؟ الجواب - والله أعلم- أن يقال:

المجاملة نوعان:

الأول: نوع مذموم يدخل في النفاق العملي، ألا وهو المداهنة وحفظ الدنيا على حساب الدين، كمداهنة الفساق والعصاة والسكوت على منكراتهم أو تحسينها ليصل بذلك إلى مصلحة دنيوية.

الثاني: نوع ممدوح: وهو مداراة من يخشى بطشه أو يخشى انحرافه، حتى يحفظ بذلك دينه، أو يكف الفساد عن نفسه وعرضه. أي أنه يداري ليحفظ دينه ولو على حساب دنياه.

٢- **النفاق الاجتماعي**: الخاص بوجهاء الناس من علماء أو أغنياء أو أمراء أو ساسة وحكام.

وأكتفي في وصف هذا النوع من النفاق بما كتبه الشيخ عائض القرني في مقال له بعنوان (النفاق الاجتماعي) حيث قال: (أصبح لكل رمز ديني أو سياسي أو وطني بطانة، يمارسون معه لعبة التضليل والتملق والمديح المزيف، فشيخ العلم لديه أتباع من المحبين والمعجبين، يخلعون عليه صفات الكمال، ويوهمونه بأنه بركة العصر والدهر وشبيه البحر، وأن الله نفع بعلمه العباد والبلاد، وأن كتبه وفتاويه ودروسه شرّقت وغرّبت، فيصدق المسكين ويقع في الفخ، ويصاب بداء العجب والتيه.

والسياسي عنده بطانة تقتات بكلمات الإطراء ومقامات الثناء الممجوج، وتوهمه بأنه الملهم وقلب الأمة النابض ومحبوب الجماهير، وتذكر له أحلامًا منامية كاذبة، تدل على صلاحه وعدله وإيمانه واستقامته، وتخبره هذا البطانة أن العجائز في البيوت يدعون له، وأن الشيوخ والأطفال يعيشون على حبه، وأن عدله وصل الجميع وبره وجوده عم الكل، (فيتورط) في دهاليز العلو في الأرض والتكبر على عباد الله والتجبر على الأمة.

والأعيان من العسكريين والتجار والمشاهير لهم جلاس وسمار، يمارسون معهم لعبة الضحك على الذقون وتمويه الحقائق، ويعطونه صورة خاطئة عن الواقع، ليكسبوا الحظوة لديهم، وينالوا شرف

صحبتهم، ويبتزوا أموالهم، فإذا غابوا عنهم سلقوهم بألسنة حداد شداد، فإذا أتيت تريد المكاشفة والصدق والوضوح والشفافية ضاع صوتك بين الأصوات، وصرت ثقيلًا، وأصبحت نشازًا، فتضطر على الرغم من أنفك للمشاركة في حفل تأبين الضمير وفي جنازة موت الحقيقة، وهذا يدلك على الغثائية التي وصلت إليها الأمة.

أما كان الأعرابي يحاور عمر ويناقشه وهو على المنبر؟ أما طلب عمر من الناس تيسير المهر وعدم المغالاة في الصداق، فقامت امرأة من آخر المسجد فقالت لعمر: يا عمر كيف تريد تقليل المهر، والله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠]، فصاح عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

نحن لا نطلب من الناس سوء الأدب مع الرموز الدينية والسياسية والوطنية وسائر الناس، ولا التجريح ولا التشهير، ولكن نطالب الجميع بالكف عن هذا النفاق الاجتماعي وحجب الحقائق، وإدخال هذه الرموز في نفق مظلم من الوهم.

يقول الحسن البصري: (تولى الحجاج العراق وهو عاقل كيس، فما زال الناس يمدحونه حتى صار أحمق طائشًا سفيهًا)، فلما ضعف الوازع الديني عند الأمة وقل الصدق، أكثرت من ألقاب المديح وصفات التزلف، بعدما كان الصحابة في عصر الخيرية والقيادة

والريادة ينادي بعضهم بعضًا، فيقولون: يا أبا بكر، يا عمر، يا عثمان، يا علي، وهم قد فتحوا القلوب والأسماع والأبصار والبلدان بالإيمان والعدل والسلام، ولكن الرئيس العربي ركب على صدره النياشين، وعلى أكتافه النجوم، وفي الشوارع أقواس النصر، وهو لم ينتصر في معركة واحدة، بل إن أجزاء من بلاده تحتلها إسرائيل.

إن تمويه الحقائق على الرموز وصناع القرار والمؤثرين معناه ضياع البلاد والعباد، فهؤلاء المتملقون والمتزلفون من البطانة همهم أنفسهم، وهم الذين يحملون شعار (كل شيء على ما يرام)، فتجد الشيخ مثلًا عنده أخطاء كبرى ومغالطات عظمى، لكن بطانته يصوبون قوله وفعله، حتى يوصلوه إلى درجة العصمة، فيبقى على خطئه، ويستمر على أوهامه، والسياسي تحجب عنه حقائق الوطن والناس تحت مظلة (الناس مرتاحون، ويدعون لكم، وهم في أرغد عيش وأحسن حال)، فيعطل اهتمام الوالي بأحوال الناس وحاجاتهم، وتنحدر البلاد في التخلف والفقر؛ لأن هذه العصبة قد ضمنت مصالحها، واطمأنت لمستقبلها، فلا يعنيها حال أحد من البشر.

فينبغي أن تخلع الأقنعة السوداء عن وجوه هذه البطانة، التي تحف بالوالي والعالم والوجيه والرمز؛ ليرى الأمور كما هي، وتتضح له الأشياء على حقيقتها، ويتخذ القرار المناسب والقول المناسب

والرأي المناسب في الوقت المناسب، وبإمكانك أن تسأل كل بطانة متنفذة نفعية عن الرمز الذي تحف به، فسوف تسمع من التقديس والغلو والإطراء ما تنفر منه الأسماع، وتشمئز منه الطباع، ويورث الرأس الصداع)[1].

ومما يلحق بهذا النوع من النفاق ما يصدر من بعض العلماء المفتين الذين يتقربون بفتواهم إلى أهل الدنيا من حكام أو وجهاء أو عامة، من أجل وجاهة اجتماعية أو دنيا زائلة.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: العلماء ثلاثة:

١- **عالم الملة**: وهو الذي ينشر دين الإسلام، ويفتي بدين الإسلام عن علم، ولا يبالي أوافق أهواء الناس أم لم يوافق.

٢- **عالم الدولة**: وهو الذي ينظر ما تريد الدولة، فيفتي بما تريد الدولة، ولو كان في ذلك تحريف لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

٣- **عالم الأمة**: وهو الذي ينظر ما يرضي الناس. إذا رأى الناس على شيء أفتى بما يرضيهم[2].

وسيأتي في فصل قادم إن شاء الله تعالى تفصيلًا لبعض مظاهر النفاق الاجتماعي، الذي تغلل في حياتنا، وأصابها بالخلل أو الشلل.

(١) نقلاً عن موقع (أنا المسلم).
(٢) شرح رياض الصالحين ٤/ ٣٠٧.

ثانيًا: النفاق الاقتصادي:

وهذا النوع من النفاق ينتشر بين تجار الأموال والمستثمرين، ولا سيما أصحاب البنوك التي تدعي أنها إسلامية ونزيهة، ولا تظهر في تعاملاتها الظاهرة شيئًا من التعاملات الربوية، أو البيوع المحرمة، وتزعم أنها تنطلق في تعاملاتها من هيئة شرعية تستفيها في هذه المعاملات.

هذا فيما يظهر للناس، أما المعاملات الباطنة والحوالات البنكية الدولية والتعامل مع البورصات والأسهم، فشيء آخر، فيه من المعاملات المحرمة ما لا يعلمه كثير من الناس.

ويلحق بهؤلاء أصحاب الحيل، التي يستحلون بها الربا باسم الشرع كبيوع العينة.

ثالثًا: النفاق الإعلامي:

الإعلام بمجالاته المختلفة -إلا ما رحم الله ﷻ- يكاد يكون كله بوقًا للمنافقين، يخدعون به الناس، ويلبسون عليهم، وينشرون من خلاله فسادهم وسمومهم وشبهاتهم.

وليس هو المعني في هذه الفقرة، وإنما المعني هنا بعض المنابر الإعلامية من مسموعة أو مقروءة، أو مرئية، التي تدعي أنها إسلامية

obeikandl.com

قامت لنشر تعاليم الإسلام ومحاربة الأفكار الضالة، ولكنها في حقيقة الأمر تنشر الباطل والشبهات، وتلبس الحق بالباطل، وتخادع الناس باسم الإسلام والدين.

فهي أشبه بمسجد الضرار الذي بناه المنافقون في عهد رسول الله ﷺ، إرصادًا لمن حارب الله ورسوله وتفريقًا بين المؤمنين.

obeikandl.com